

# للأمة العربية عمل شعبي واحد

أيها الأخوان<sup>(١)</sup>:

في هذا الاجتماع الذي نعقدّه اليوم لتكريم وفد كريم لقطر عربي شقيق، يحلو لي أن أبدأ كلامي بشعور شخصي شعرت به دوماً في نفسي، وهو أنني لا أتصور قوميّتي العربية تصوراً واضحاً قوياً إلا عندما اتصل بعرب بعيدين عن سورية، أو أشارك في العمل لقضية قطر عربي بعيد. في مثل هذه الحالات تتجسم في نفسي هذه الصلة القومية العميقة التي تفوق الوصف، ويمتلئ طريق العمل أمامي بالنور، وتبدو الأهداف واضحة جلية. هذا ما شعرت به قبل ست سنوات عندما أعلن العراق حربته الجريئة على بريطانيا، وقبل ثماني عشرة سنة عندما جمعنا أيام الدراسة والنضال بأخواننا عرب المغرب في أوروبا، ومنذ عهد قريب عندما أخذ مناضلو المغرب العربي يفتدون علينا في هذه البلاد، وفي هذه الأشهر الأخيرة عندما وردت إلينا رسائل من أحرار اليمن المضطهدين يؤيدون فيها حركة البعث العربي ويذكرون لصحيفة «البعث» اهتمامها بقضية الشعب العربي في اليمن، وفي هذه الأيام الأخيرة التي سنحت فيها لنا الفرصة بأن نلقى إخواننا الآتين من السودان، هذا القطر العربي

---

(١) نشر في جريدة «البعث» في ١١ آذار ١٩٤٧.

العزير الذي كادت صلتنا به تنقطع مع الأيام، بالرغم من انه موطن شعب عربي اصيل وقبائل عربية معروفة .

انني في مثل هذه الحالات اتجه بفكري وقلبي الى الله احمده واشكره على ان خلقنا عرباً وجعل الوطن العربي في مثل هذا الاتساع، فجعل بذلك النفس العربية واسعة رحبة الأرجاء .

ايها الاخوان :

ان وفد السودان يأتي ليشرح لأخوانه العرب شكاة طالما عرفها العرب وشكوا منها ليس في السودان فحسب، بل في اكثر اقطارهم، وخاصة في سورية ولبنان الا وهي المهزلة الأزلية التي يصطنعها المستعمر اللثيم، انكليزياً كان ام افرنسياً أو ايطالياً؟ مهزلة التجزئة والانفصال فهل نحن غرباء عن هذه المآسي التي ظلت سورية الى الأمس القريب مسرحاً لها، وهل نحن حقاً بحاجة الى الاطلاع على اكاذيب الاستعمار واراخيفه، وهو الذي يخلق اقلية وهمية يدعي الغيرة عليها، ويصطنع اقاليم يتظاهر بالحرص على استقلالها ونمو شخصيتها؟

ان كلمتنا للاستعمار هي واحدة لم تتغير منذ اليوم الأول الذي دنست فيه اقدامه ارضنا وعكرت اكاذيبه صفاء جونا: اننا لانعرف للاستعمار دافعاً غير دافع النهم والجشع، ولا نعرف لاحتلاله صفة غير صفة العدوان والاجرام . ولم نصدق في يوم من الأيام أن الاستعمار، وهو المدفوع بالشهوات الحقيرة، المشحون بأساليب المكر والعدوان، يمكن ان يكون اكثر منا غيرة على انفسنا، وحرصاً على حرية بعض أجزاء وطننا وبعض فئات شعبنا . انه مفضوح في عدوانه وروغانه، فلنكن صرحاء في جهاده ومحاربه .

تلك كلمتنا للاستعمار: أما كلمتنا لأنفسنا فهي : ان الحركة العربية الواعية لايمكن ان تتساهل في امر الوحدة القومية اوتسكت عن مزاعم الانفصال، سواء اكان ذلك في مصر والسودان، ام في سورية ولبنان . اما ما يتذرع به اعوان الأجنبي القلائل وبعض الأفراد والفئات المخدوعة بحججهم من دفاع عن الحرية، وخوف من طغيان قطر على آخر، وفتنة على أخرى، فجوابنا عليه هو: ان للعرب حرية كبرى، هي

مصدر وضمان لجميع الحريات الجزئية : الحرية القومية التي تضمن لهم خلاصهم من الاستعباد، وانقاذ ثروات ارضهم من سلب الأجنبي ، وانقاذ عقولهم ومواهبهم من الخنق والتشويه، الحرية التي تسمح لهم باستلام مصيرهم بأيديهم من جديد .  
ولكن هذه الحرية القومية الكبرى لن تتحقق ما دام الشعب العربي بعيداً عن استلام مقدراته بيده، اذ الواقع ان الشعب بعيد عن قضيته حتى في الأجزاء التي استقلت وتخلصت كل التخلص او بعضه من نير الاستعمار . فالطبقة الحاكمة في البلاد العربية هي بحكم تركيبها وتربيتها ومصالحها عاجزة - ان لم نقل كارهة - عن تحقيق التحرر القومي التام، وتحقيق الوحدة بين اجزاء ارض العرب، لأنها عاجزة عن تحقيق الوحدة بين قلوب العرب .

ازاء هذا الواقع المؤسف المؤلم ليس امام الشعب العربي الا طريق واحد، انه لن ينتظر من الحكومات والفئات الحاكمة ان تفسح له مجال العمل، بل عليه ان يدخله، ومتى دخل الشعب خرجت الفئات الاستغلالية . ثم شيء واحد يقوي حق العرب في تدعيم اتجاههم الوحدوي، وفي محاربة كل ما يحول دونه : وهو ان يسيروا نظام نضالهم في الطريق الشعبي الحر، فتكون هكذا كل خطوة من خطى هذا النضال، باضعافها لحكم الاستئثار والاستغلال مضعفة لحجج الناقمين وذرائع المنكمشين الانفصاليين، كما تكون مقوية لارتباط المواطنين العرب بقضيتهم . وكاشفة عن قوى الشعب العربي الحقيقية التي ما يزال اكثرها دفيناً مهدوراً والتي، هي وحدها قادرة على اكتساح قوى الاستعمار الأجنبي الغاشم، وتطهير الأرض العربية المقدسة من ادرانها وآثامه . هكذا تعود الأشياء الى طبيعتها وتظهر على حقيقتها ويقتنع العرب والعالم بأن في الكيان الحي السليم، الذي هو كيان الأمة العربية، يتحقق ما عجز تحقيقه على الكثيرين، الا وهو: ائتلاف حرية الفرد والجماعة مع وحدة الأمة، وانسجام حق المواطن مع قوة الدولة .

ان التعبير العملي عن هذه الفكرة هو تشكيل حزب عربي واحد في اتجاهه وقيادته وخطته في جميع الاقطار العربية، لأن الأمة العربية غدت في امس الحاجة اليه لكي تظهر قواها وامكانياتها كاملة .

وان هذه القوة والامكانيات كفيلة ليس بتحرير العرب من كل استعمار فحسب بل بأن تنشيء وتقدّم للعالم حضارة عربية جديدة.

١١ آذار ١٩٤٧